ياسين عدنان
ولد سنة ١٩٧٠. حاصل على إجازة في الآداب الانكليزية. شاعر وقصّاص. له أربعة دواوين: **مانيكان، رصيف القيامة، لا أكاد أرى، دفتر العابر.** النص هنا مقطعٌ من الديوان الأخير

على الساحل اللازوردي

على الساحل اللّازَوَرْدي[١]
كانت أمواجُ العشيِّ تُربِّت في دَعةٍ على كتف البُرْج
لكيلا ينام قبيل الغروب
ويدُسَّ مصابيحَه تحت سَرْجِ الغياب.
وأنت هنا ترقبُ الأفْقَ مستغربًا
كيف يقطفُ صخرُ الشواطئ غَدْرًا زهورَ العُباب.

كأنك من شرفتك
في لاناپول Le Château de la Napoule
من الشُّرفة القُوطيّة
تحرس نوْمَ الرِّيڤيرا[٢] من قراصنةٍ يكمَنون
في أرَقِ الموج؛
تحرسُ أحلامَها
وتقلُّبَها في حرير الميموزا
من غُيوم الجبال؛
كأنَّكَ سوف تُراجِعُ فجرًا ألوانَ الطفولة
كي ترْتِقَ الفتْقَ في جُبَّة الضوء،
وكي تفهم الفرْقَ
بين شُحوبِ السماء
وعافيةِ اللازَوَرْد.

كأنَّكَ أحمرُ
لعلَّك أخضرُ
لكَمْ أنتَ أزْرَقُ أزرق[٣]
يا أيُّها اللازَوَرْد!

---

(١) La Côte d'Azur.

(٢) الريڤيرا الفرنسيّة: جنوب شرق فرنسا على البحر الأبيض المتوسّط.

(٣) أزرق: صافٍ (ماء أزرق: صافٍ. رواه ابنُ الأعرابيّ).

على الساحل اللازوردي
تذكرتُ أنّيَ حارسُ هذا الفراغِ العظيم
من النوم
ومن خَبَل العاصفة.
عليَّ إذن أن أخبِّئَ أضْغاثَ روحي بعيدًا
عن فتنة الجنيّات،
وعن العاطفة.

فَلِبِضْعِ ليالٍ
سأبقى وحيدًا هنا
مُظلمًا
أحرُسُ البرج.
لا وميضُ الفنارات يشعلُ ضوءًا بقلبي
ولا قمرٌ في مرايا النشيدْ.
وحدَهُ شبحٌ غامضٌ هَبَّ كالريح من جهةِ المقبرة
آنَسَ سُهْدِي قليلا
وأرْشدَني، خِلْسةً، لجِرَار النَّبيذْ.

نحنُ في مارس الآن. قضيْتُ في القلعة شهرًا أو أقلَّ قليلا
الأيامُ موْجٌ يتقلَّبُ في روحي
وأنا لا أحدُسُ من يومي أوهامَ غدي.
أيّ حياةٍ ستعيشُ غدًا يا حارس هذا البرج:
ضجر الشاعرِ في زمَنِ الحرب؟
تَرَف الضيف؟
شَظف النُّوتيِّ المقهورْ؟
رِضا الناجي من معركةٍ حاميةِ الوَطيسِ
أمْ إحساسًا معطُوبًا بالنَّصر:
إحساسَ الكُونْتِ المغرورْ؟

أفتحُ الشُّرُفات ضُحًى.
أطِلُّ فتنهشُ نظراتُ السيّاح فطائِرَ صحْوي.
كأني أُشرِف من زمنٍ آخر.
كأنّ هيلين، وهي تحكي قصة القلعةِ للسُّياح،
نسِيَتْ بابًا لم تُوصِدْهُ،
وها بطلٌ من الزمن الغابر يَستدْرِكُ فصلًا لا يُرْوى.

في قاعة الأكل القُوطيّة ذاتِ السَّقف الشاهق
كنتُ أدَنْدِنُ في الركن، والبنتُ تُحدِّث شِلَّتَها
عن حفلات الماضي،
عن مآدِبَ حضَرتْها العُلِّيَّةُ في هذي القاعة
الميْدَةُ[٤]
نحتٌ عبقريُّ الزخرف من حجر مسْنُون؛
والتماثيلُ لأهل القلعة
وضيوفٍ نُبلاء
يشربون نبيذَ الدَّيْرِ وُقوفًا
مُستغْنِين
بما في الدِّنانِ
عن الطيِّبات.

التماثيلُ
سَكْرى.
التماثيل السَّكرى تتمايلُ ثابتةً.
والسيّاح يطوفون عليهم خُدَّامًا من زمنٍ آخرَ.
لكنّ الرّوائحَ تسكنُ، حتى الساعة، لحْمَ المائدةِ الصَّخْريّ
وتَسْري في عَظْمِ الجُدْران:[٥]
«أغمضي عينيكِ. دعيها ـ الروائحَ ـ تنفذُ من هذي الجدران إليكِ.
كأنّا معهم في المحْفِل، وقريبًا يأتي خَدَمُ القلعة بالأطباق.»
قال الأمريكيُّ الكهْلُ لرفيقته السَّمْراء. فضحِكْتُ.
كانت ليزا، القَهْرَمانةُ، تُهيّئ في المطبخ صينيةَ ديكٍ حبشيٍّ
بالشمبانيا،
وأنا أتسلّى بمُرافقَةِ السياح مُنتظِرًا مَدَّ السُّفْرَة.
والأمريكيّة البلهاء أغمَضَتْ عينيها: «فعلًا فعلًا،» كانت تهمس
في خَدَرٍ وهي تَلْمُظُ.
يا ليزُ
ما أخبارُ الحبشي؟ سألتُ.
دقائقَ تُنهي هيلينُ الجولةَ
وأعِدُّ الطماطم بالموزاريلا وأناديكِ.
يا ليزا
سيحكي السُّياحُ بعُجْبٍ عن مآدبَ غابرة تسكن عظْمَ الخوانِ
القوطي
فيما نحن نُمَصْمِصُ في لؤمٍ
عظامَ الديكْ؟

كنّا نحفرُ في صخر القلعة جُرْحًا أبيض
من ظلٍّ وحَنينٍ
ونغنّي إذ نسكَرُ
لكنّا نعرفُ كيف نعود إلى الصَّحْوِ
لنحرُسَ أشباحَ القلعة.

---

(٤) قال الجرمي: يقال مائدة ومَيْدَة.

(٥) في التنزيل: ﴿فخلقنا المُضغة عظامًا فكسونا العظامَ لحمًا﴾. ويُقرأ: ﴿فكسونا العظم لحمًا﴾. قال الأزهري: «التوحيد والجمع هنا جائزان».